

زيارة تاريخية وحقد دفين

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

ليس مبالغة القول أن زيارة غبطة البطريرك صفير التاريخية للشوف وجزين قد سطرت تاريخاً جديداً للبنان الكيان والوحدة والتعايش، فيما بينت حملة الاعتقالات الاعتباطية التي نفذتها الأجهزة المخابرتية بحق ما يزيد عن ٣٠٠ قيادي وفرد من أفراد التيار الوطني الحر والقوات اللبنانية، بينت غياباً وتبعية وخوف وحقد الطاقم الحاكم. وليس حتماً القول أن حرب لبنان انتهت يوم الأحد بتاريخ ٢٠٠١/٨/٥ إلى غير رجعة رغم كل محاولات متولي الحكم وعلى رأسهم فخامة العماد ومدير قوى أمنه المستعار العودة بعقارب الساعة إلى الوراء. كما يمكن القول وبراحة ضمير أن الحرب اللبنانية بدأت بالتقهقر وبأفول نجمها يوم الجمعة ٢٠٠١/٨/٣ لحظة انطلق موكب غبطة البطريرك صفير من الديمان متوجهاً إلى الشوف وجزين، إلى قلب لبنان النابض حيث الرحم الذي سيلد الوطن المرتجى ويقيم من كبوته القصرية لينطلق من الرماد تماماً كطائر الفينيق محطماً القيود والحواجز، ضارباً بسيف الإيمان عقول المتحجرين والأصوليين، المنبطحين والطرواديين الذين دنسوا تراب وطن الأرز المقدس ونحروا أهله، باعوا كرامتهم وضميرهم بثلاثين من فضة. إن هؤلاء الكفرة ما زالوا في مراكز السلطة واجهات ودمى تتمرمغ على أعتاب المحتل مبخرةً ومبجلةً بأفضاله. إلا أنهم في ميزان القوى الشعبية وكما برهنت زيارة غبطة البطريرك هم صفر وأقل من صفر بكثير لأنهم مرزولين حتى يوم القيامة.

لو كان لبلدات وقرى الجبل فم يتكلم، ولو كان لأرض الجبل لسان ينطق لهتفا بصوت عالٍ شكراً يا غبطة البطريرك يا من أعطيت عن جدارة واستحقاق مجد لبنان. أنت قيامة لبنان ولبس جراح أهله، أنت حامل همومهم بلا كلل أو تذمر بإيمان صلب راسخ كجبال لبنان التي تحاكي السماء وتحكي للدهور مجد وعنفوان لبنان.

محطة الزيارة الأولى كانت في قصر الزعيم اللبناني الكبير الراحل الأمير مجيد أرسلان في خلدة، والمحطة الأخيرة في بلدة الكحاله الصامدة العنيدة التي عصت على كل الطامعين والمارقين، وتخلل الزيارة المباركة في يومها الثاني لقاءً تاريخياً في قصر المختارة مع الزعيم وليد جنبلاط. الزيارة سطرت تاريخاً جديداً للبنان واللبنانيين جميعاً، وسوف تفجر ينابيع المحبة والوطنية في وجدان كل لبناني غيور على كرامة أهله وقدسيتها تعايشهم ووحدة مصيرهم بوجه العابثين والمارقين وناكري لبنانيتهم والراكعين امام متولي الحكم.

أهم رسالة حملتها الزيارة هي الرسالة الوطنية الجامعة بمعانيها الوطنية، إلى اللبنانيين كافة في مختلف مناطق لبنان جبلاً وساحلاً وسهلاً من الناقورة حتى النهر الكبير، رسالة تقول

وبصوت عال صارخ كصوت يوحنا يقول لا بديل عن الانصهار الوطني ولا خلاص للبنان واللبنانيين بكل طوائفهم ومذاهبهم وشرائعهم إلا بالعودة إلى صفاء العيش المشترك والصيغة اللبنانية الفريدة التي لا الحرب استطاعت أن تتغلب عليها ولا محاولات التقسيم والتفتيت والشرذمة قدرت أن تتال منها أو تقتل في نفوس أهل لبنان محبتهم، بل تقديسهم للهوية المميزة وتاريخ وطنهم المتجذر في تربة لبنانهم المجدولة بعرق ودم أجدادهم وأحفادهم.

إن حملة الاعتقالات الاعتباطية التي قام بها نظام الوجهات بحق قياديين وأفراد التيار الوطني الحر والقوات اللبنانية دون أي مسوغ قانوني هي خير دليل على إفلاس هذا النظام الذي لا يمثل أمانى وتطلعات اللبنانيين، بل مخططات المحتل السوري الذي فرضه على الشعب منذ سنة ١٩٩٠.

إن لبنان الرسالة باق طالما بقي لبناني واحد يؤمن بسرمديته وديمومته، وطالما بقي لبناني واحد لا يقبل بالذل والهوان والارتهان. أما هرطقات الاعتقالات والكبت والقهر والابعاد التي تطاول الأحرار من شباب لبنان فهي لن تتمكن من إخماد شعلة التحرر المتأججة في نفوسهم وضمائرهم، بل ستزيدهم عناداً وإصراراً على متابعة مسيرة تحرير الوطن من براثن الاحتلال وظلم الحكام الدمى.

لقد مر على لبنان مئات، بل آلاف الفاتحين والغزاة والمهوسين من الطغاة، كلهم ذهبوا خائبين مهانين ولم يبق من أثرهم إلا لوحات صغيرة محفورة على صخور نهر الكلب تذكر من تهمه الذكرى بعظمة شعب لبنان، بعناده وتشبثه بقراره الحر، بتقديسه لاستقلال وطنه، وبمقاومته لكل ظالم ومعتد. أما مصير الطغاة الحاليين ومعهم اليهوداصيين من أهل البيت، لن يكون مختلفاً عن الذين سبقوهم. فمن له أذنان صاغيتان فليسمع ومن بقي في وجدانه ذرة من الحياء فليتنفض.